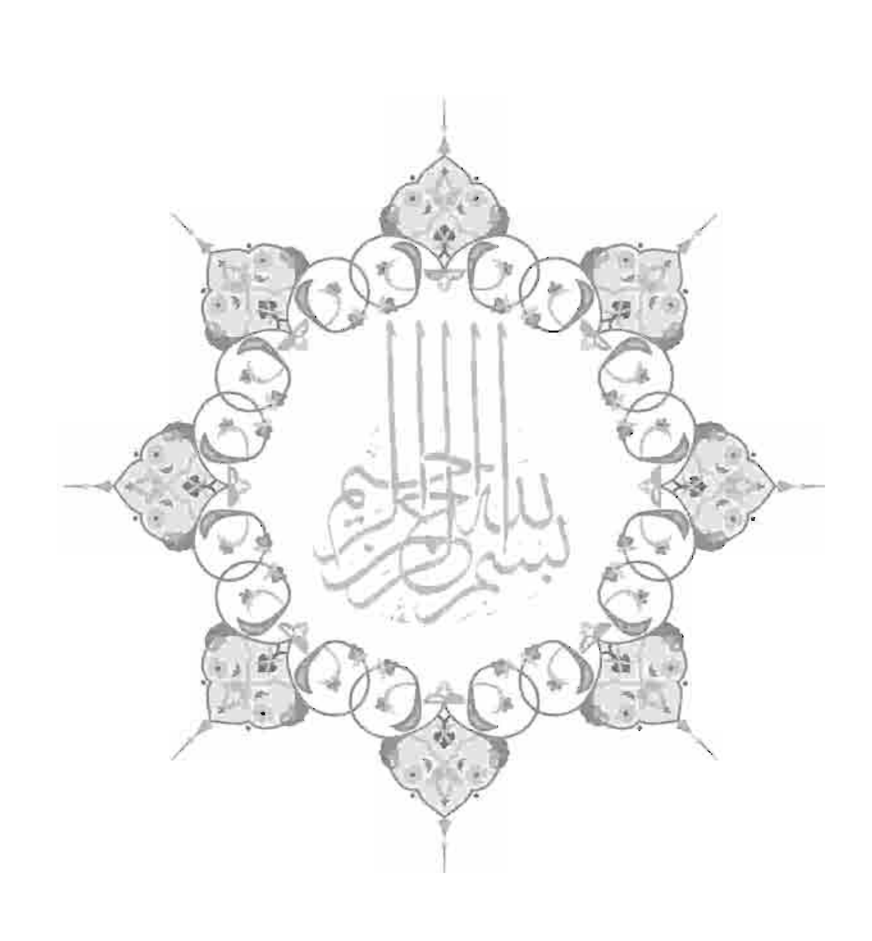
سماحة الفقيه المجدِّد المرجع
السيّد محمد حسين فضل الله (رض)

مع الإمام عليّ عليه السلام في العلاقة بالله تعالى

إعداد وتنسيق
الدكتور السيّد محمد رضا فضل الله

إصدار
المركز الإسلامي الثقافي - مجمع الإمامين الحسنين (ع)
لبنان - حارة حريك

مع الإمام عليّ عليه السلام
في العلاقة بالله تعالى


بسم الله الرحمن الرحیم

سماحة الفقيه المجدِّد المرجع
السيّد محمد حسين فضل الله(رض)

مع الإمام عليّ عليه السلام

في العلاقة بالله تعالى

إعداد وتنسيق
د. السيّد محمّد رضا فضل الله

إصدار
المركز الإسلامي الثقافي
مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام ـ حارة حريك





المقدّمة

إنّها كلماتُ تلميذ رسول الله ﷺ... كلماتٌ دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق.. وما ذاك إلا لأنّ عليّاً عليه السلام خرّيج مدرسة القرآن... ومن هذه المدرسة نهل عليٌّ عليه السلام ما رسم للأجيال و الأمّة دروب خلاصها، وهي إذا ما سارت في هذه الدروب ستنال خير الدّنيا وكرامة الآخرة...

وهذا ما حرص الفقيه المجدِّد العلاّمة المرجع السيّد فضل الله (رضوان الله عليه) على تبيانه وإظهار معانيه، وتحليل أبعاده من خلال شروحاته وأبحاثه وخطبه التي تناول فيها وفي مناسبات عديدة الحديث عن نهج عليٍّ عليه السلام فيما شكّل خطّاً معرفيّاً، عمل السيّد (رض) من خلال كتاباته ومواعظه على وضعه بين أيدي الناس، ليكون لهم زاداً يحملونه في العقل والقلب، يقتحمون به الحياة في حلوها ومرّها، وهدفهم فيها رضى الله وحده..



ونحن في المركز الإسلامي الثقافي إذ نشكر الأخ الدكتور السيّد محمد رضا فضل الله الذي يدأب على مواصلة تحرير وتنسيق وإعداد هذه السلسلة. نسأل الله التوفيق والنجاح، على أمل الاستمرار في بذل هذا الجهد ليكون خيرَ زادٍ له ولنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم.

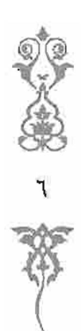
والله الموفّق والمسدّد

مدير المركز الإسلامي الثقافي

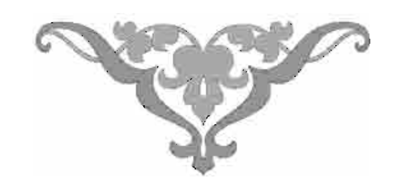
شفيق محمد الموسوي

ذو القعدة ١٤٣٢ هـ

ت١ (أوكتوبر) ٢٠١١ م



أفضل المؤمنين









بعـد وفـاة رسـول الله ﷺ، كان أمام الإمـام علي عليه السلام مهمّتان:

ـ **المهمّـة الأولـى:** اسـتكمال تربيـة الأمّـة على الإسـلام، فالمشـركون شـغلوا النبـيّ ﷺ بالحـروب، وحالوا دون ممارسة دوره التربوي كاملاً، والإمام عليه السلام كان الوحيد المؤهّل لأن يسـتمرّ دورُ الرسـول ﷺ به، فهو خليفته في الرسـالة، وخليفته في الحكم، ومـا عليه إلاّ أن يكون كما كان رسـول الله شـاهداً ومبشّـراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

ـ **المهمّـة الثانية:** الولاية التنفيذية على سـلوك المسلمين، فكما كان النبيّ ﷺ أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم، كذلك لا بدّ لخليفته من أن تكون له الولاية التي هي دليل حاكمية الله سبحانه وتعالى.

ومـن أجـل تهيئة الإمـام عليه السلام لمهمة الخلافة، اعتمد النبيّ ﷺ طريقتَين:

أ ـ **تربية الإمام** عليه السلام **روحياً وفكرياً وعلمياً**: كان الإمام عليّ عليه السلام الإنسان الذي عاش طفولته مع النبيّ صلى الله عليه وآله، وشبابه مع الرسالة، حتّى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول له: «**يا عليّ إنّك ترى ما أرى، وتسمع ما أسمع، ولكنّك لست بنبي**» كان يرى الوحي ويسمعه كما يراه النبيّ صلى الله عليه وآله ويسمعه، وكان يختلي به الساعات الطوال، فيفتح قلبه على أسرار القرآن، وأحكام الإسلام، هذا ما صرّح به الإمام عليه السلام بقوله:

«**كنتُ إذا سألتُ رسول الله أجابني، وإذا سكتُّ ابتدأني**».

وكان عليّ عليه السلام باب مدينة العلم، وقد علّمه النبيّ صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، فتح له من كلّ باب ألف باب.



ب ـ **النصّ على إمامته**: ولم يكتفِ النبيّ صلى الله عليه وآله بتربيته بل أعلن اسمه كخليفة في مناسبات عديدة منها:



- حديث المنزلة: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي**».

- حديث الثقلين: «**إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً**».

- حديث الغدير: «**اللّهم من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه،**

اللّهـم والِ مَـن والاه، وعـادِ مـن عـاداه، وانصر مـن نصره، واخذل مَن خذله، وأدِر الحق معه كيفما دار».

مكانة الإمام عليه السلام وأهليّته

من خلال هذا الإعداد الإلَهي والنبويّ كنّا نقول ولا نزال: أنْ ليس هناك أحدٌ من المؤهّلين لخلافة النبيّ صلى الله عليه وآله سوى عليّ عليه السلام، ولم يجتمع لأحد من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله كما اجتمع لعليّ عليه السلام في وعيه للرسالة، وفي إخلاصه للدين، وفي دقّته في الإدارة، وهذا ما نلمسه حين نقرأ عهده لمالك الأشتر حين ولاّه على مصر، وفي كُتبه إلى الولاة في الأمصار... لقد كان بالفعل أفضل المسلمين في إدارة الدولة، وطريقة تنظيمها، وحلّ مشاكلها... وهذا ما جعله موضعَ حاجة جميع المسلمين في كلّ أمورهم، إذ لم يُنقل أنه احتاج إلى أحد في شيء، وهذا ما عبّر عنه أحد علماء اللّغة العربية «الخليل بن أحمد الفراهيدي»، وقد سُئل: لماذا قدّمت علياً على غيره؟



قال: احتياج الكلّ إليه، واستغناؤه عن الكلّ، دليلٌ أنّه إمام الكلّ.

حتّــى أنّ الخليفة الثانــي عمر بن الخطــاب كان يلجأ إليه إذا ابتُلــي بقضــايا معقّدة، ليجد الإمام علياً عليه السلام حاضــراً

لحلّهـا وتوجيهه نحو الطريق الصـواب، حتّى قـال فيه: «لولا عليٌّ لهلك عمر».

«لا كنت لمعضلة ليس لها أبو الحسن».

على هذا الأساس فإنّنا نعتبر أنّ المفاضلة بين علي عليه السلام وبين غيره أمر لا معنى له.

الإمام علي عليه السلام في وعي مجتمعه

ومع كلّ هذا الموقع الكبير نجد الإمام عليّاً عليه السلام مظلوماً في حقّه قبل الخلافة وبعدها، لأنّه كان يعيش أو يحكم مجتمعاً لا يفهمه، ولا يستفيد منه، فكان يقول لهم: «**إنّ هاهنا لعلماً جمّاً، لو أصبت له حَمَلَةً**».



وكان يردّد: «**سلوني قبل أن تفقدوني فإنّي بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض**».





وماذا كان الجواب؟ ... لا شيء.

لذا لا بدّ للمسلمين في مدى الزمن من إعادة قراءةٍ لتاريخ عليٍّ وعلمه وسلوكه، من أجل أن نفهمه، أن ننفتح على فكره، أن ننطلق في آفاقه، أن نأخذ بنصائحه ووصاياه.

لو أردنا، في هـذه الأيام، ونحن نعيش في عصـر انفجار المعرفة، عصـر العلم حيث أصـبحت المعارف متوفّرة وفي

متناول الجميع، لو أردنا أن نقوم بعملية استفتاء لأغلب المسلمين الذين يسيرون بخطّ علي عليه السلام، أو الذين ينتمون إلى شيعة علي عليه السلام ماذا يعرفون عنه؟

إنّك ستُفاجأ بروايات عن بطولات علي عليه السلام في معركة الأحزاب وهو يضرب عمرو بن عبد ودّ العامري ويصرعه، وفي معركة خيبر التي هزم فيها اليهود، ودحا باب الحصن، وقتل قائدهم مرحباً. أما معرفتهم عن عليّ عليه السلام الإنسان الذي ضرب الجهل، وهزم التخلّف، وقضى على الكفر.. فهذا أمر لا يَرِد في أحاديثهم أو اهتماماتهم. أما علي عليه السلام وسعة علمه وشموليّة مداركه فهذا أمر لا يعرفونه، ولا يتابعونه ليستفيدوا منه..استمع إليه وهو يقول لصاحبه كميل بن زياد:



«**يا كميل... الناس ثلاث: فعالِم ربّاني، ومتعلِّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح لم يستضيئوا بنور الحقّ، ولم يلجأوا إلى ركنٍ وثيق**».

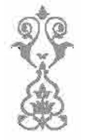
كم عندنا من الهمج الرعاع إذا دُقّ الطبل فكلّ الناس تسارع لتجتمع وتحتفل، أما إذا نادى المؤذّن للصلاة، كم العدد الذين يستجيبون لذلك النداء؟..

الإمام علي عليه السلام في إدارة دولته

بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفّان، أجمع المسلمون على اختيار الإمام علي عليه السلام خليفةً وحاكماً، فمارس مهمّة إدارة الحكم بأسلوبٍ إسلاميٍّ حضاريٍّ رائع، وبالأخصّ في علاقته مع عمّاله في الولايات حيث كان يمارس معهم لونَين من التوجيه والتقويم.

- يحرص على أن يتعهّدهم بالتثقيف والتوجيه والموعظة، إنّه يريد منهم أن يعيشوا ثقافة الإسلام وأخلاقيّته وروحيّته، ليجسِّدوا الإسلام الحركيّ على أرض الواقع.

- يراقب أداءهم، فإذا رأى منهم أعمالاً حسنة شجّعهم وأظهر تقديره لهم، وإذا رأى أفعالاً سيّئة وبّخهم وأظهر استياءه منهم.







ومن الكتب الإرشادية التي زوّد بها أحد عمّاله هو كتابه إلى عامله الحارث الهمداني، وممّا جاء فيه:

وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً[1] مِنْ نَفْسِه وَأَهْلِه وَمَالِه فَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ[2] وَمَا تُؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ، وَاحْذَرْ صَحَابَةَ

---

(١) تقدمة: مصدر قدّم... أي بذلاً وإنفاقاً.

(٢) ذخره: نتائجه الجيدة، خيره.

مَـنْ يَفِيـلُ[1] رَأْيُـهُ وَيُنْكَـرُ عَمَلُـهُ فَـإِنَّ اَلصَّاحِـبَ مُعْتَبَـرٌ بِصَاحِبِـهِ.

وَاسْكُـنِ اَلأَمْصَارَ اَلْعِظَـامَ فَإِنَّهَا جِمَـاعُ اَلْمُسْلِمِينَ وَاحْذَرْ مَنَازِلَ اَلْغَفْلَةِ وَاَلْجَفَاءِ وَقِلَّةَ اَلأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اَللَّهِ وَاقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ اَلأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ اَلشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ اَلْفِتَنِ..

أفضل المسلمين من يعيش مسؤولية العطاء

«واعلـم أنّ أفضـل المؤمنيـن أفضلهـم تقدمـة مـن نفسـه وأهلـه ومالـه...»

إنّ أفضـل المسـلمين هـو الـذي يعيشـ روحيـة العطاء، ومسـؤولية العطاء فيمـا يقدّم للناس من فكـر إذا كان يملك فكراً، ومن جهد إذا كان يملك جهداً، ومن جاه إذا كان يملك جاهاً، ومن مال إذا كان يملك مالاً، ومن أهله إذا كان يستعين بأهله في سبيل الله.



إنّنا نتصوّر أنّ الله تعالى عندما يتفضّل علينا بنِعَمه، فإنّه يعطينا إيّاها امتيازاً لأنفسـنا فقـط، والحقيقة أنّ هذه النِّعَم هـي بمثابة بـلاء واختبار لنا مـن جهة، ومسـؤوليّة من جهة

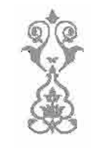
(١) يفيل: يضعُف.

ثانية، فكلّما كانت نِعمُ الله أكثر، كلّما كانت المسؤولية أمام الله أكثر... فالله تعالى سيسألنا عن المال الذي أعطاه، ماذا فعلنا به؟ وأين أنفقناه؟ وكيف صرفناه؟.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]

﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[الأنفال:٤١]، ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:٤٣] ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[الحديد:٧].

- إنّ مالَك هو مسؤوليتك... وإنّ جاهَك هو مسؤوليّتك..
- وإنّ قوّتك البدنيّة هي مسؤوليّتك... وإنّ قوّتك الاجتماعية هي مسؤوليّتك..
- وإنّ قوّتك السياسيّة هي مسؤوليتك... وكذلك قوّتك العقليّة، كلّما أنعم الله عليك بطاقاتٍ أكثر، كلّما طال وقوفك بين يديه، فكلّ شيء ستُسأَل عنه، والملفّات جاهزة لديه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس:٦٥]





إذا أردت أن تكون الأفضل بين المؤمنين وعند الله تعالى فكن الأفضل فيما تقدّمه للناس ممّا يحتاجون إليه من نفسك وأهلك ومالك.. ثم يعقّب الإمام عليه السلام على ذلك فيقول:

«**فإنّك ما تقدِّم من خيرٍ يبقَ لك ذخره، وما تؤخِّره يَكُنْ لغيرك خيرُه...**»

يقول الله تعالى في هذا الإطار: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ**﴾ [البقرة: ١١٠] لتكن كلّ حياتنا ساحة للخير، الذي سيبقى صدقة جارية، وعملاً صالحاً نواجه به ربَّنا يوم الحساب.. أما إذا حصل بعض التقصير أو التأخير في توظيف الطّاقات بما ينفع الناس، فإنّ ما سيبقى لدينا من مال أو غيره، فسيعود إلى غيرنا دون أن نحقّق منه أيّة فائدة.



أفضل المسلمين من يستفيد من تجارب الآخرين

أ - **الحذر من مصاحبة الجهلاء:** ثم يحذّره من مصاحبة الجهلاء الذين قد يضعِّفون رأيه، ليشجّعه على مواكبة العلماء الذين قد يتحفونه بالعلم ويُغنونه بالتجارب:

«**واحذر صحابة من يفيل (يضعف) رأيه، ويُنكَر عملُه، فإنّ الصاحب معتبر بصاحبه**»

فالإنسان يُحكَمُ عليه من خلال أصحابه «قل لي من تعاشِر، أقُل لك مَن أنت».

ويقول الشاعر:

عـن الـمـرء لا تـسـأل وسَـلْ عـن قرينه

فـكـلّ قـريـن بـالـمُـقـارَن يـقـتـدي

فالحـذر كلّ الحـذر من الصـديق الـذي يُضـعِف رأيَك، ويشـوّه سـيرتك، وينال مـن مكانتك وهيبتـك، وبالتالي قد يسـاهم في انحرافك. في وصـيّته لواحدٍ مـن أولاده، يقول الإمـام علـي عليه السلام:

«يا بنيّ... إيّاك ومصادقة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك..

وإيّاك ومصادقة البخيل، فإنّه يقعُدُ عنك أحوج ما تكون إليه..



وإيّاك ومصادقة الفاجر، فإنّه يبيعك بالتافة..

وإيّـاك ومصادقـة الكـذّاب، فإنّـه كالسّراب يقـرّب عليك البعيد، ويُبعِّد عليك القريب».



ويقول أيضـاً: «**قـارن أهل الخيـر تكن منهـم، وبايـن أهل الشرّ تَبِنْ عنهم**».

ب - التشجيع على ارتياد مواقع العلم والتجربة: ويضـيف الإمام عليه السلام في وصيّته بالقول:

«واسكُـن الأمصار العِظام فإنّها جماع المسلمين، واحذر

منازل الغفلة والجفاء وقلّة الأعوان على طاعة الله، واقصر رأيك على ما يعنيك».

يعالج هذا النص نقاطاً ثلاثاً:

١ ـ «**واسكن الأمصار العظام فإنّها جماع المسلمين**».. يريد الإمام عليه السلام نصيحة عامله بسكنى العواصم الرئيسية، لأنّها تُعتبر مركز تجمّع رجالات العلم والدين والخبرة والسياسة... فمنهم يكتسب المعرفة والثقافة التي توسِّع آفاقه، والخبرة التي تعمّق تجربته، ومعهم يواكب حركة العلماء والمؤمنين الصالحين الذين يأخذ منهم الموعظة والنصيحة والحكمة التي تقوّم أداءه، وتعدّل من سلوكه.



٢ ـ «**واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلّة الأعوان على طاعة الله**» كما يحذّره من سكنى الأماكن التي يعيش فيها الناس الغفلة عمّا يجري في الحاضر، وعمّا يدبّر للمستقبل، والقسوة في علاقاتهم الاجتماعية مع بعضهم البعض... بعيداً عن قِيَم المحبّة والرحمة والمودّة... إحذر كلّ هؤلاء الذين تشغلهم هوامش الحياة التي تؤكّد على الاختلاف، وتمنع التواصل، وتصدّ عن طاعة الله تعالى.

٣ـ «**واقصر رأيك على ما يعنيك...**» ثم يطلب منه أن يركّز اهتمامه على ما يعنيه، أي ما يتّصل بنطاق مسؤوليّته، فالإنسان لا يستطيع أن يحيط بكلّ شيء، فلا بدّ له من أن يختار ما يعنيه من قضايا ومواقف وعلاقات وما سيُقدم عليه في دنياه وآخرته.

أفضل المسلمين من يختار البيئات الصالحة

وحتّى يحصّن نفسه من الانحراف، يحذّره من التردّد على مواقع الفساد التي يرتع فيها الشيطان وجنوده: «**وإيّاك ومقاعد الأسواق، فإنّها محاضر الشيطان ومعاريض الفتن**» فحينما ندرس حركة الأسواق وما يجري فيها من معاملات، نجد فيها الكثير من الخداع والغش والرِّبا والنزاع... وكلّها أو بعضها قد تتسلّل إلى زوايا النفس لتخفّف من التزامها وتقواها.






يريد الإمام عليه السلام من هذا أن يقول لواليه الحارث الهمداني: إذا كانت أجواء الأسواق العامة بهذا الشكل، فإنّ تواجدك يفرض عليك أن تعيش هذه الأجواء التي لا تخدم صفاء نفسك، ولا تخدم انفتاحك على ربّك، ممّا يدخلك في فتن لا علاقة لك بها، وممّا يجعل للشيطان طريقاً إلى

شخصك، باعتبار أنّك تقترب من مواقعه.

وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْه فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ وَلاَ تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلاَةَ إِلاَّ فَاصِلاً[1] فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِه.

وَأَطِعِ اللهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ وَارْفُقْ بِهَا وَلاَ تَقْهَرْهَا وَخُذْ عَفْوَهَا[2] وَنَشَاطَهَا إِلاَّ مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ فَإِنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا.

وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ[3] مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ وَوَقِّرِ اللهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ وَاحْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ. وَالسَّلاَمُ ...



أفضل المؤمنين من يعرف كيف يشكر الله على نعمه

يتابع الإمام علي عليه السلام في رسالته إلى عامله الحارث الهمداني تقديم النصائح والإرشادات التي يضمن بها سلامة نهجه وأدائه.. إنّه يريد أن يقول له: إنّ الله تعالى

(١) فاصلاً: خارجاً ذاهباً.

(٢) عفوها: وقت فراغها وارتياحها إلى الطاعة.

(٣) آبق: هارب منه ومتحوّل عنه إلى طلب الدنيا.

خلق البشر مختلفين في خصائصهم ومراتبهم: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥].

وهذا يفرض على المؤمنين سلوكاً إنسانياً ينسجم مع هذا الاختلاف والتباين، إنّه يقول:

«**وأكثِر أن تنظر إلى من فُضِّلت عليه، فإنّ ذلك من أبواب الشكر..**» فالناس ـ كما قلنا ـ مختلفون.. فواحد جميل، وآخر أقلّ جمالاً، وفرد غني، وآخر فقير، وشخص عالم، وآخر جاهل... وهكذا نرى الناس يتفاضلون مع بعضهم البعض... فمنهم من ينظر إلى من هو أعلى منه، فيشعر بالغبن، فيستقلّ نعمة الله عليه، أو لا يشعر بقيمة النعمة، أو قد يملأ صدرَه الحسدُ الذي قد يتحوّل إلى عقدة ضدّ صاحب النعمة الذي هو أفضل منه، وقد ورد ببعض الشعر:





«وكلّ ذي نعمة تلقاه محسودا»

لذا أراد الإمام عليه السلام لصاحبه ولجميع المؤمنين أن ينظروا النظرة التي تجعلهم يشكرون المنعم، فقال لهم: أنظروا لمن هو أسفل منكم، فستجدوا أنّ الله تعالى أعطاكم أكثر ممّا أعطاه، وهيّأ لكم فرص النجاح أكثر ممّا هيّأها

للآخرين.. إنّ هذه المقارنة الموضوعية كفيلة بأن تدفعك إلى شكر الله تعالى وتقدير نِعَمِه، وشكر الله تعالى يكون في تحرّك هذه النعم فيما يحبّه الله ويريده.

أفضل المؤمنين من يعرف متى وكيف يعبد الله تعالى

وفي إطار العبادة يُولي الإمام عليه السلام اهتماماً بـ:

أ - الحرص على أداء فريضة الجمعة: «**ولا تسافر في يوم جمعة حتّى تشهد الصلاة إلاّ فاصلاً في سبيل الله، أو في أمر تُعذَر به...**»

يؤكّد الإمام عليه السلام على الصلاة الأسبوعية الجماعية حيث تتمّ العبادة في أجواء ينفتح فيها المؤمنون على قضاياهم الاجتماعية، ويعالجون أمورهم السياسية، ويتابعون أوضاعهم الأمنية.



صلاة الجمعة هي الصلاة الأسبوعية التي أراد الله للمسلمين أن يلتقوا عليها، ويجتمعوا فيها ليتواصلوا ويتعارفوا ويذكروا الله تعالى، ولم ينادِ الله بصلاة كما نادى لصلاة الجمعة حيث قال:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ

الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا الله كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩ ـ ١٠].

ذلك هو سبيل النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة. ثم إنّ الله تعالى يحدّثنا عن بعض الناس الذين كانوا في زمن النبي محمد ﷺ: كانوا أثناء إقامة الصّلاة، يأتي أحدهم لينادي ويروّج لبضاعته، فما يكون من بعضهم إلاّ أن يتركوا الصّلاة، وينشغلوا بالتجارة، بينما يريد الله أن ينطلقوا إليه ويؤكّدوا ثقتهم به.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].



والحديث الشريف يقول: «**لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون بما في يدِ الله أوثق منه بما في يده**».

فلتكن لدينا الثقة الكبيرة بالله الخالق الرازق، ولماذا نخاف على الرزق، والنفس ـ بإذن الله ـ لا تموت حتى تستكمل رزقها المقسوم لها.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يحدِّد الحالات التي يُعذر فيها الإنسان إلى الله تعالى وهي:

- يكون لديه أمر ملحّ يضطرّه للسفر، لأنّ للضرورة أحكامها.

- أو يكـون لديه عمل جهاديّ أو خدمة دينيّة يُراد بها وجه الله تعالى .

ب ـ الحرص على أداء العبادة بإقبال وتوازن: ثم ينتقل إلى الحديث عن طبيعة أداء العبادة كشكل من أشكال الطّاعة لله سبحانه: «**وأطِع الله في جميع أمورك، فإنّ طاعة الله فاضلة على ما سواها، وخادِعْ نفسَك في العبادة، وارفق بها ولا تقهرها، وخُذْ عفوها ونشاطها، إلاّ ما كان مكتوباً عليك من الفريضة، فإنّه لا بدّ من قضائها، وتعاهدها عند محلّها...**»

فالعبادة ليست حركات منتظمة فقط بل هي روح وذِكر ووعي، والعبادة لقاء حميم مع الله تعالى، وحضور قلبي بين يديّ الله تعالى، وقيمة العبادة الحقّة هو أن تذكر الله في قلبك، قبل أن تذكره بلسانك، وهذا ما يفرض أن تكون نفسك مرتاحة أثناء العبادة، بحيث يسمح لك ذلك بالتوجّه الروحي الكلّي في حالَتي الحركة والقراءة.



والعبادة على قسمَيْن: فرائض ومستحبّات، ولكلّ واحدةٍ منها خصائصها وأجواؤها وأوقاتها..

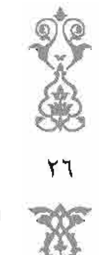
الفرائض واجبة لا يجوز أن تُترك، فالصلاة ـ مثلاً ـ يجب أن تؤدّى في أوقاتها سواء كانت النفس مقبلة أو غير

مقبلـة، وإن كان عليك أن تجتهد في تحصـيل التوجّه القلبي بأيّ ثمن.

المستحبّات عبادة طوعية، يشجّع عليها الدين، ويقدّم لها برامج خاصـة من تلاوة وصـلاة ودعاء في أوقات ومناسبات خاصـة... ولكن الإمام عليه السلام يقول: «**خـادع نفسك بالعبادة، وخُـذْ عفوهـا ونشاطهـا**»، أي لا تقهـر نفسـك إذا كانت غير مقبلة على النوافل والمسـتحبات العبادية، أعبد الله في وقت تكون نفسك في راحة ووعي وانفتاح... في حديث للإمام علي عليه السلام يؤكّد هذا التوجّه:

«**إنّ للقلـوب إقبـالاً وإدبـاراً، فـإذا أقبلـت فاحملوهـا على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا على الفرائض**».

أما الفرائض فهي مفروضـة لا بدّ مـن أدائها في أوقاتها، ومهما كانت الظروف النفسية والبيئية.



أفضل المؤمنين من يعرف كيف يستعدّ للقاء ربّه

وأخيراً يلجأ الإمام عليه السلام إلى تذكيره بالموت الذي ينتظر كلّ مخلوق ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [العنكبوت:٥٧].

«**وإيّـاك أن ينزل بك المـوت، وأنت آبق (هـارب) من ربّك في طلب الدنيا**».

حاول أن تستعدّ للموت الذي لا بدّ منه، فعندما يأتيك، إحرص على أن تكون حاضراً منفتحاً على ربّك، وليس هارباً منه، وما يجدي هذا الهروب والجميع في ملكه وفي قبضته «**هاربٌ منكَ إليك**».

وكلمة «آبق» تعني خارجاً على طاعة ربّك، مبتعداً عن تعاليمه، لذا يريد الإمام عليه السلام أن يؤكّد على طاعة الله، التي هي سبيل النجاة، وطاعة الله تعني أن لا تظلم ولا تشتم ولا تعتدي ولا تقارب المعاصي، ولا تقارب المحرّمات بكلّ أنواعها وأشكالها... وبكلمة مختصرة أن لا تطلب الدنيا من أبواب الحرام، بل من أبواب الحلال التي بدخولها يحصل المؤمن على خير الدنيا وفلاح الآخرة.



ومن الأمور التي يستطيع المؤمن أن يحصّن نفسه، ويضمن خاتمة حياته بالفوز بلقاء ربّه:

أ ـ «**إيّاك ومصاحبة الفسّاق، فإنّ الشرّ بالشرّ ملحق**»: وهم الذين يعصون الله، ويتعدّون حدوده، ولا يلتزمون أحكامه، فعلى المؤمن أن يُحسِن اختيار الصاحب أو الصديق، نظراً لقدرة تأثير الواحد على الآخر، بفعل العاطفة الشديدة التي تنشأ بينهما، فإذا لم يُحسن الاختيار، فإنّ الأمور قد تؤدّي إلى الأسوأ، بفعل العدوى من جهة،

وخسارة ثقة الناس واحترامهم من جهة أخرى.

ب ـ **«ووقّر الله، وأحبب أحباءه»**: وتوقير الله تعالى يكون بأن تحمده، وتثني عليه، وتشكره، وتذكره، وتطيعه في كل ما أمرك به، ثمّ تعيش عظمته في نفسك وأدائك.

ثـم إنّ عليك أن تحـبّ من يحبّهم الله، وهم المحسـنون، المتّقون، الصـادقون الأُمناء...، ودليل حبّك لشخص ما، هو أن تحـبّ ما يحبّه، وتكره ما يكرهه، فكيف سـيكون حبّك لله تعالى الذي لا يعادله حبّ.

ج ـ **«واحـذر الغضـب، فإنّـه جند عظيم من جنـود إبليس»**.

إنّ الإنسان إذا غضب نسـيَ ربّه، وإذا غضب فَقَدَ عقله، وبذلـك يكون قد فَقَدَ توازنـه واحترامه. والحديث يقول: **«الغضب أوّله جنون، وآخره ندم»**.





والله تعالى يريدنـا أن نحترم عقولنا، لنحفظ من خلالها تماسـك إيماننا، والحديـث يركّز على ذكـر الله تعالى أثناء الغضـب لتلافي ما يحمل من سـلبيّات على صعيد العلاقات، ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:٢٨].

«أذكرني في غضبك، أذكرك في غضبي، حتى لا أمحقك فيما أمحق».

«إذا دعتك قدرتك لأن تظلم أحداً، فاذكر قدرة الله عليك»

ومـا من يـدٍ إلاّ يـدُ الله فوقها   ومـا ظالـمٍ إلاّ سـيُبلى بأظلمِ

يجب على المؤمن أن لا يعطي عقله إجازة مهما كانت الظروف، فالعقـل هو الذي يوازن لنا خطواتنا، وهـو الذي نميّز به بين الحسـن والقبيح، وبين الخير والشـرّ، والغضب هو الذي قد يجعلنا مكشوفين في أسـرارنا وخصوصيّاتنا أمام الآخرين، فإذا أردت أن تكتشف صديقك في مزاجه وتفكيره، فامتحنه عند الغضب:

أَغـضِـبْ صـديقَـكَ تستطلع سريرته

لـلسـرّ نـافـذتـان: السِّـكرُ والـغـضـبُ.

«**إحذر الغضب فإنّه جندٌ عظيم من جنود إبليس**» هذا هو كلام الإمـام علي عليه السلام، الكلام الـذي يمثّل الحكمة والوعي والمصـلحة، والذي يرفعنا بالتقوى إلى الله تعالى، ويحلّق بنا في أجواء السعادة في الدارَيْن الأولى والآخرة، فتعالوا لنحلّق في سماء عليّ عليه السلام الذي قال:

«**ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريْه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفّة وسداد**».

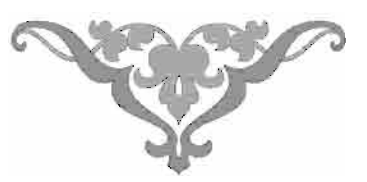








في العبادات ومكارم الأخلاق







من كلام لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوصي به أصحابه، وأصحابه في مدى الزمن هم الذين يلتزمون إمامته ونهجه وهداه.. من كلام له يعالج فيه قضايا حيوية في الإسلام تتّصل بالعبادات ومكارم الأخلاق، وفي مقدّمتها إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأداء الأمانة، فيقول عليه السلام:

تَعاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاَةِ وَحافظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا ﴿كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً﴾ [النساء: ١٠٣] **أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا ﴿ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾** [المدثر: ٤٢-٤٣] **وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ**[١] **وَتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ الرِّبَقِ**[٢] **وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالْحَمَّةِ**[٣] **تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ**[٤] **...**





(١) حتّ الورق عن الشجرة: أزال قشرها.
(٢) الرِّبق: حبل فيه عدّة عرى كل منها ربقة، فكأن الذنوب ربق في الأعناق، والصلاة تفكّها منه.
(٣) الحمَّة: عين ماء حار يستشفى بها من العِلَل.
(٤) الدرن: الوسخ.

١ـ التشديد على إقامة الصلاة

«... **تعاهدوا أمر الصلاة...**»: لتكن الصلاة لربّكم موضع اهتمامكم، تعاهدوها كما يتعاهد الإنسان الأمور المهمة من حياته، صحّته، معاشه، أمنه، استقراره، أسرته..

ـ «**وحافظوا عليها...**» التزموا بأوقاتها، تعلّموا أحكامها، لتعرفوا شروطها وأجزاءها، بما يطرأ عليها من شكّ أو ظنّ أو خلل، فصحّتها أساس في قبولها.

«**واستكثروا منها...**»: أن لا تقتصروا فقط على الصلاة الواجبة، فإذا اتّسع لديكم الوقت، وانفتحت لها نفوسكم، فحاولوا القيام بالمزيد من النوافل المستحبّة. وقد ورد في الحديث:



«**إنّ الصلاة خير موضوع، فمن شاء استقلّ، ومن شاء استكثر**» فالإنسان حينما يُكثِر من الصّلاة، فإنّه ينفتح على الله تعالى أكثر، ليحصل من خلال ذلك على نتائج روحية وتربوية كبيرة، وعلى ثواب عظيم من الله تعالى:



﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾ [العنكبوت:٤٥].

ـ «... **وتقرّبوا بها، فإنّها** ﴿**كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً**

﴿مَّوْقُوتاً﴾ [النساء:١٠٣]»، تقرّبوا لله تعالى بالصلاة، لأنّ الصلاة لقاء يومي بين العبد وربّه، ومعراج المؤمن بروحه إليه. فالإنسان حين يقف في صلاته أمام الله يناجيه، وبين يديه يسترحمه ويبتهل إليه... فإنّه يشعر أنّه إلى جانبه، وفي مواقع القرب منه، في موقفٍ حميميّ يشهد له بالعبودية والوحدانية والطاعة المطلقة.. فالصلاة فريضة واجبة على المؤمنين الذين عليهم أن يؤدّوها في أوقات محدّدة، إذ من خلال الالتزام بإقامتها يتحدّد مصير الإنسان في الآخرة، ويظهر ذلك من خلال الحوار القرآني بين أهل الجنّة المصلّين، وبين أهل النار المنكرين أو المتساهلين الغافلين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدّثر: ٤٢ـ ٤٣].



وسَقَر هي منطقة من جهنّم، قد تختصّ بعذاب التاركين للصلاة وغيرها. وهذا يفرض على المسلم المؤمن أن يقيم الصلاة ويحافظ عليها، ويشجّع الآخرين على أدائها بأحكامها وشروطها، وبالأخصّ أولاده وأقرباءه، فمن يحبّ أولاده وإخوانه ولا يريد لهم العذاب في نار جهنّم، فإنّ عاطفته الأبويّة تفرض عليه استخدام مختلف الوسائل الممكنة من أجل أن يربّيهم على الصلاة، ويعمّق الارتباط بأجوائها،

وقـد ورد في القرآن الكريم هذا التوجيه: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾ [طه:١٣٢].

٢ ـ من فوائد إقامة الصّلاة

والله تعالـى لا يأمر بالصـلاة وغيرها عبثـاً، إذ من وراء كلّ أمـر فائـدة أو حكمـة، قد ندركهـا، وقـد لا ندركها بفعل قصـورنا عن الإحاطة بـكلّ الأمـور: ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الإسراء:٨٥].

فبالإضافة إلى كونها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإنّها:

- «... **لَتَحُتُّ الذنوب حتَّ الورق، وتطلقها إطلاق الربق**»:



فكما تتساقط في الخريف أوراق الشجر، كذلك الذنوب فإنّها تتساقط من المصلّي عند صلاته، وكما يتحرّر الإنسان عندما تُفَكّ عنه القيود، كذلك الذنوب فإنّ المصلّي يتحرّر منها في حال أدائه للصّلاة أيضاً.



- ورد عـن النبـي ﷺ: «**أَيَسُرُ أحدكـم أن يكـون علـى بابـه حمَّـة، يغتسـل منها كلّ يـوم خمس مرات فـلا يبقى مـن درنـه شـيء؟** قالـوا: نعـم، قـال ﷺ: **إنّهـا الصلوات الخمس**».

فبالصـلاة يغتسـل المؤمن من ذنوبه، وقد ورد في تفسير

الآيـة: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤]، أي إنّ كل صلاة يصلّيها الإنسان تُذهب الذنوب التي قبلها.

وقـد قيل: بعد أن سـمع إبليس هـذه الآيـة الكريمة، جمع جنوده، وقال لهم: مـاذا نفعل بهذه الآية، وهي التي تمحو كلّ ذنب نُزيّنه للإنسـان المصلّي؟ وبذلك فإنّ كلّ جهودنا تذهب أدراج الرياح.

تقـول الروايـة: هنـا قـام الوسـواس الخنّاس، وقـال: أنا لها...

قال إبليس: كيف؟

أجابه: نظلّ معهم فنوقعهم في الخطيئة، ثم نُنسيهم التوبة، وبالتالي نُنسيهم الصلاة. وهذا أمر يجب أن نفكّر فيه ونأخذه بعين الاعتبار، فبعض الناس ممّن لديهم عمل، يقول: أؤجّل صلاتي، والبعض الآخر: لا أقدر أن أصلّي فعندي ضيوف، وسوف أقضيها فيما بعد... وإذا كان مسافراً في طائرة يخجل من الصلاة أمام الآخرين، وهكذا يتهاون في صلاته حتى يصل به الحال إلى تركها دون أن يؤنّبه ضميره، وهذا هو عمل الشيطان، الوسواس الخنّاس، والله تعالى يحذّر من ذلك فيقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]، فعلى الإنسان أن



يحافظ على صلاته، ولا يستهين بأدائها في وقتها، فهي التي ترفع من مكانته عند الله، وهي التي تَحُتُّ الذنوب كما تتساقط الأوراق في الخريف، وهي التي تغسل عن إنسانها دَرَنَ الذنوب خمس مرات في اليوم الواحد.

وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلاَ مَالٍ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ﴾ [النور: ٣٧]

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَصِباً[١] بِالصَّلاَةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها﴾ [طه: ١٣٢] **فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيُصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.**



٣ ـ رجال الصلاة



وهم المؤمنون الذين يتعاهدون أمر الصلاة، ويحافظون على أدائها في أوقاتها، ويستكثرون منها ليلاً ونهاراً، ويتقرّبون إلى الله سبحانه خاشعين خاضعين، قدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ وهو المبشَّر بالجنّة، الذي كان يُتعِب نفسه بالصلاة، امتثالاً لأمر الله تعالى:

---

(١) نَصِباً: تَعِباً.

﴿وَأْمُـرْ أَهْلَكَ بِالصَّـلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طـه:١٣٢]، فكان يأمر بها أهله، ويصـبر عليها نفسه، مهما كانت حالته الصحيّة سـيّئة، فكان يقوم اللّيـل بطوله حتّى تتورّم قدماه، حتّى أن إحدى زوجاته اسـتكثرت ذلك فقالت: مالك تُتعِب نفسك، واللّه غفر لك ما تقـدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فكان جوابه: «**أفـلا أكـون عبـداً شكـوراً**».

هؤلاء المؤمنون الذين اتخذوا من رسـول اللّه ﷺ الأُسوة الحسـنة، هم رجال لا يُشـغلهم عن الصـلاة متاع الدنيا من مال وجاه وولد، إنّهم باعوا أنفسـهم للّه تعالى، وانقطعوا إلى عبادته في الصلاة والزكاة والدعاء وتلاوة القرآن.. ثم إنّهم تحمّلوا مسؤولية تربية أولادهم على تعلّم الصلاة وتأديتها في أوقاتها، ثـم التوجّه الروحي في كلّ مفرداتها من قيام وركوع وسجود وتَشَهُّد وتسليم.



ثُـمَّ إِنَّ الـزَّكَاةَ جُعِلَـتْ مَـعَ الصَّلاَةِ قُرْبَانـاً لأَهْـلِ الإِسْلاَمِ فَمَـنْ أَعْطَاهَـا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَـا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَـهُ كَفَّارَةً وَمِنَ النَّـارِ حِجَـازاً وَوِقَايَـةً فَلاَ يُتْبِعَنَّهَـا أَحَدٌ نَفْسَـهُ[1] وَلاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا

(١) أي من أعطى الزكاة، فلا تذهب نفسه مع ما أعطى، تعلّقاً به، ولهفاً عليه.

مَـا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ مَغْبُونُ الأَجْرِ[1] ضَالُّ الْعَمَلِ طَوِيلُ النَّدَمِ.

٤ ـ إيتاء الزكاة بأداء طيّب

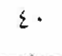
«... **ثم إنّ الزكاة جُعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام...**»: في آيات قرآنية عديدة يترافق تعبير إقامة الصلاة بإيتاء الزكاة.. ﴿**وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة: ٤٣].

﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**﴾ [الأنبياء: ٧٣].

فالزكاة هي ما يطهّر المال وينمّيه، وهي تشمل كلّ الضرائب المالية والحقوق الشرعية، بما فيها الخمس، والمسلمون يدفعونها قربة إلى الله تعالى. وحتى تكون الزكاة خالصة لوجه الله تعالى لا مِنّة فيها ولا استعلاء، لا بدّ وأن تصدر عن طِيب نفس، أي برغبة واندفاع، لتكون كفارة لذنوب معطيها، وحاجزاً ووقاية من عذاب النار.

فمن يعطي الزكاة، عليه «**أن لا يُتْبِعَنّها أحدٌ نفسَه**»، أي عندما يعطي لا يبقى يفكّر كيف دفعت؟.. ولماذا دفعت؟.. عليه





(١) مغبون الأجر: منقوصة.

أن يشعر بالواجب الإلهي الذي يفرض عليه دفعها في مواردها المحـدّدة، وبالأخص حين يتذكّـر الآية القرآنية التي تعتبر أنّ مال الزكاة هو بالأصل مال الله الذي جعلنا مستخلفين فيه.

﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ...﴾ [النور:٣٣]

﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧]

«**ولا يكثـرنّ عليهـا لهفـه...**» ... أي أن لا يرجو بها ما هو أفضـل منهـا. أي لا يعيش روحية التجارة، بـل روحية العطاء قربة لله، وامتثالاً لأمره. وإلاّ فإنّه جاهل بالسُّـنة، لا يحصـل على الأجر الذي أعدّه الله للمنفقين الأتقياء، وإلاّ فهو أيضـاً ضـالّ العمل، طويـل الندم، لأنّه لـم يؤدِّ ما فرض الله عليه برغبة وعفوية.



ثُـمَّ أَدَاءَ الأَمَانَـةِ فَقَـدْ خَـابَ مَـنْ لَيْـسَ مِـنْ أَهْلِهَـا إِنَّهَـا عُرِضَـتْ عَلَـى السَّمَـاوَاتِ الْمَبْنِيَّـةِ وَالأَرَضِيـنَ الْمَدْحُـوَّةِ وَالْجِبَـالِ ذَاتِ الطُّـولِ الْمَنْصُوبَةِ فَلاَ أَطْـوَلَ وَلاَ أَعْرَضَ وَلاَ أَعْلَـى وَلاَ أَعْظَـمَ مِنْهَـا وَلَـوِ امْتَنَعَ شَـيْءٌ بِطُـولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُـوَّةٍ أَوْ عِـزٍّ لاَمْتَنَعْـنَ وَلَكِنْ أَشْفَقْنَ مِـنَ الْعُقُوبَـةِ وَعَقَلْنَ مَا جَهِـلَ مَـنْ هُـوَ أَضْعَـفُ مِنْهُـنَّ وَهُـوَ الإِنْسَانُ ﴿إِنَّـهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢]. **إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مَـا الْعِبَـادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهارِهِمْ، لَطُـفَ بِهِ خُبْـراً،**

وَأحاطَ به علْمـاً، أعْضاؤُكُـمْ شُهُـودُهُ، وَجَوارِحُكُـمْ جُنُـودُهُ، وَضَمائِرُكُمْ عُيُونُهُ، وخَلَواتُكُمْ عِيانُهُ.

دور الأمانة في توازن شخصية المسلم

الأمانة عنصـر من العناصـر الأساسـية التي تساهم في توازن واسـتقامة شخصـيّة المسـلم، فقد ورد فـي الحديث: «**لا ديـن لمـن لا أمانة لـه**». والله تعالى يؤكّد على الأمانة في صـفات المؤمنيـن، فيقول في القـرآن المجيـد: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾ [المعارج: ٣٢].

ورُوي عن رسـول الله ﷺ وهـو يتحدّث عـن المقياس الـذي نقيـس بـه مكانـة الأشـخاص: «**لا تنظـروا إلـى كثـرة صلاتهـم وصومهـم، وكثـرة الحـجّ والمعـروف، وطنطنتهـم باللّيـل، ولكـن انظـروا إلـى صـدق الحديث وأداءالأمانـة**».





والأمانة لا تشـمل فقط حفظ مـال الغير الذي أودع لدينا، بل يتّسع إلى:

- أمانة العمل والوظيفة، فنلتزم بالقوانين والضوابط.
- أمانة الأسرار التي نؤتمن على الحفاظ على سرّيتها.
- أمانة المال العام، فنحافظ على مال الدولة الذي هو مال الأمّة.

- وكذلك أمانة الدين، وأمانة الوطن، وأمانة الصوت الانتخابي الذي تطلقه..

وتوكيداً لذلك ورد في الحديث: «**أعظم الخيانة خيانة الأمّة**». ثم إنّ أداء الأمانة أمر خطير، فقد عرضها الله تعالى على السموات المبنية، والأرضين المدحوة، والجبال ذات الطول المنصوبة.. فأبَيْنَ أن يحملنها وأشفقن منها، لأنّهن عقلن ضخامة مسؤوليّة الالتزام بها، أمّا الإنسان الذي هو أقلّ طولاً، وعرضاً، وقوّة، وعزّاً... فقد بادر إلى حملها، موطّناً نفسه على الالتزام بها، مع غفلته عن النتائج التي تترتّب عليها.



ثم يختتم الإمام علي عليه السلام كلامه بتوجيهات محذّراً من نتائج المسؤولية:

- فالله تعالى هو الذي يعلم السرّ وأخفى، وهو الذي لا يخفى عليه ما العباد مقترفون في ليلهم ونهارهم، إنّه يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور.

- «**لَطُفَ به خبراً**».. فهو اللّطيف في خبرته بالأشياء:

﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك : ١٤]

- «**وأحاط به علماً**».. فالله تعالى هو عالم الغيب والشهادة... ﴿**وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً**﴾ [الطلاق: ١٢]،

فأين المفرّ؟ وأين المهرب؟

- «**أعضاؤكم شهوده**».. والشهود على أعمالنا لدى الله في يوم الحساب هم جوارحنا الذين هم جنوده: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النور: ٢٤].

- «**وضمائركم عيونه، وخلواتكم عيانه**».. فعندما تكونون وحدكم فالله تعالى حاضر معكم ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ...**﴾ [المجادلة: ٧]، يراكم من حيث لا ترونه، ولذلك يحذّر الإمام علي عليه السلام بقوله: «**اتّقوا معاصي الله في الخلوات، فإنّ الشاهد هو الحاكم**».

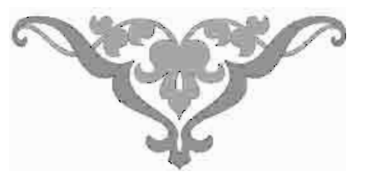


هذه هي كلمات علي عليه السلام التي تفتح قلوبنا وعقولنا على مسؤوليّاتنا في عبادة ربّنا، والقيام بكلّ ما حمّلنا إياه من رعاية أنفسنا، وخدمة كلّ من يحيط بنا، هذا هو هدى عليّ عليه السلام، وهدى عليّ عليه السلام هو هدى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهدى رسول الله صلى الله عليه وآله هو هدى الله تعالى.





العلاقة الروحية مع الله تعالى



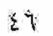














من موقعنا الإسلامي، وفي حال عبوديتنا لله تعالى، يريد منّا الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن نستقبل الصباح من كلّ يوم، كما المساء، ونحن في يقظة إيمانية، نستذكر نِعم الله وألطافه، ونتحسّب وجوده ورحمته، ونعيش حضوره ورقابته، ونشعر أنّ وجودنا مرتبط به، وأنّه مهما امتدّت بنا الحياة، ومهما حصلنا منها على مواقع القوّة، فنحن مفتقرون إلى عونه ورحمته.

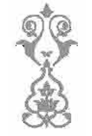


في كلّ صباح كان الإمام علي عليه السلام ينفتح على ربّه بالدعاء، ليعلّمنا أن الدعاء غذاء الرّوح، الذي يوثّق الصلة اليوميّة بالله، بحيث نشعر به حاضراً في كلّ تفاصيل حياتنا.. فالإمام عليه السلام يعرف، أنّ مشكلة المسلم وهو يخوض غمار الحياة بالنشاط والعمل قد يغفل، فينسى ربّه، بحيث لا يشعر به حاضراً في عقله ووجدانه حينما يصلّي ويدعو ويتلو القرآن.. فالصلاة وكلّ العبادات تتحوّل إلى أعمال وحركات تقليدية جامدة لا روح فيها.

يريـد الإمــام عليه السلام من كلّ مسـلم أن يسـتقبل صـباحه، ويختم مسـاءه بالدّعاء ليشكره على نعمه، ويحمده على لطفه به ورحمته، فها هو يرفع يديه بالدعاء فيقول:

الْحَمْدُ لِلّه الَّذِي لَمْ يُصبِحْ بِي مَيِّتاً وَلاَ سَقِيماً، وَلاَ مَضْرُوباً عَلَـى عُرُوقِي بِسُـوءٍ، وَلاَ مَأْخُوذاً بِأَسْـوَإِ عَمَلِـي، وَلاَ مَقْطُوعاً دَابِـرِي، وَلاَ مُرْتَدّاً عَنْ دِينِي، وَلاَ مُنْكِراً لِرَبِّي، وَلاَ مُسْتَوْحِشـاً مِـنْ إِيمَانِي، وَلاَ مُلْتَبِسـاً عَقْلِـي، وَلاَ مُعَذَّباً بِعَـذابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي. أَصْـبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِـي، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلاَ حُجَّةَ لِي، وَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلاَّ مَا أَعْطَيْتَنِي، وَلاَ أَتَّقِيَ إِلاَّ مَا وَقَيْتَنِـي.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ!





اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِـي أَوَّلَ كَرِيمَـةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي!

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ، أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ!

فـي هذا الدعاء الصـباحي يلتفت الإمام عليه السلام إلى بعض نِعـم الله تعالى عليـه، وما يحمل من إيجابيـات تتمثّل في كل حياته.

١ـ الحياة والصحة

«الحمـدلله الـذي لـم يُصبِـح بـي ميتـاً ولا سقيمـاً، ولا مضروباً على عروقي بسوء..»

- أحمدك يا ربّ أني أصبحت في هذا اليوم، وحركة الحياة تسري في جسدي، وقد مات فيه أُناسٌ آخرون غيري، والحياة والمـوت بيـدك. فأنت واهـب الحيـاة، وأنت قاهر الإنسـان بالموت.

أحمـدك يـا ربّ أنّـي أصـبحت في هـذا اليـوم، وعافية الصـحة يضـجّ بها بدني، وقد اسـتفاق آخـرون غيري وهم يعانون ويتألّمون، والصحة والمرض بيدك يا ربّ، الحمدلله علـى أنّـي أعيش سـلامة كلّ أعضـائي، وأجهزة جسـمي، فلا مرض، ولا سـوء، ولا شـلل يمنعني من النشـاط والعمل والحركـة.



٢ـ السلامة من سوء العمل

«ولا مأخوذاً بأسوأ عملي، ولا مقطوعاً دابري...»

- أحمـدك يـا ربّ في هذا الصـباح، أنني أفقـت وأنا في سـلامة من دينـي، فأنت ولك الحمد لم تؤاخذني بما أسـأتُ فيه من العمل.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا الدعاء منسوب للإمام علي عليه السلام، والإمام عليه السلام معصوم، بل هو فوق العصمة، فكيف ينسب إلى نفسه سوء العمل، وكيف يقول: «**ولا مأخوذاً بأسوأ عملي...**» ... إنّ الإمام علياً عليه السلام هنا ينطق بصفة إنسانيّته، لا بصفة معصوميّته، فالله تعالى يخاطب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الكريم بالقول: ﴿**وَاسْتَغْفِرِ اللهَ**﴾ [النساء:١٠٦] والنبي صلى الله عليه وآله وسلم معصوم، والاستغفار هنا يتّصل بعنصر الإنسانيّة فيه، وهناك يرد تفسير آخر وهو أن الاستغفار قد يُستعمل في عملية التواضع أمام الله، بحيث يُظهر نفسه وكأنّه خاطئ وهو ليس بخاطئ.

- أحمدك يا ربّ أيضاً بأن أصبحت وأولادي يعيشون معي، فأنت لم تقطع نسلي، ولم تحرمني نعمة العيش معهم، وأنت يا ربّ بيدك الأمر كلّه، وعقابك لقوم لوط كان: ﴿**أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ**﴾.



٣- السّلامة في الدين

«**ولا مرتدّاً عن ديني، ولا مُنكِراً لربّي، ولا مستوحشاً من إيماني...**»

- أحمدك يا ربّ وأشكرك على أن أصبحتُ وأنا في

سلامة من ديني، فأنا لا أزال أعيش نعمة الإيمان، رغم كلّ ما يحيط بي من مغريات وشهوات وتحدّيات، رغم كلّ ما يحاول الشيطان من إثارة الإغراءات والوساوس، فأنا أردّد: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَٰهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾ [الناس:١ـ٥].

ـ أحمدك يا ربّ أنّني لا أزال مؤمناً بربّي، ممتثلاً لكلّ ما يريد ويرغب، فلست مستوحشاً من إيماني، الإيمان الذي أعيش فيه السّعادة الروحية بالانفتاح على الله تعالى بكلّ قوّة وحيوية، وبكلّ وعي وفطنة، فأنت حاضر في نفسي وعقلي ووجداني، العقل الذي منحتني فيه الصّحة التي هي عنوان توازن شخصيّة الإنسان، أحمدك أنّني لا أزال في حالة توازن عقليٍّ واستقرار نفسيٍّ ونشاط جسديٍّ.



٤ـ السلامة من العذاب

«ولا معذَّباً بعذاب الأمم من قبلي...»

ـ أحمدك يا ربّ أنني أصبحت وأنا آمِنٌ من عذابك، العذاب الذي ينال أهل معصيتك، والذي نال أهل الأمم السابقة في التاريخ بفعل انحرافاتهم، الحمدلله الذي لم يُنزِل العذاب

علــى الأمّة التي أعيش بين ظهرانيها، رغم ما يقوم به النـاس من أخطاء وذنوب وجرائم، فأنت الذي أعطيت الأمّة الأمان: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣].

٥ ـ عفوك يا ربّ

«**أصبحـت عبداً مملوكاً ظالمـاً لنفسي، لك الحجّة عليّ، ولا حجّة لي، ولا أستطيع أن آخذ إلاّ ما أعطيتني، ولا أتّقي إلاّ ما وقيتني...**»

ـ أحمـدك يـا ربّ على إحساســي العميـق بعبوديّتي لك، فأنا العبد الخاضع، الخاشـع، المملوك الذي لا يملك لنفسه ضــرّاً ولا نفعاً، فأنت الذي خلقتني بقدرتك، وأفضت عليّ كلّ نعمك.. ومع ذلك فأنا ظالم لنفســي، لم أفعل ما أمرتني به، ولم أترك ما نهيتني عنه.





﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨]

فلك الحجّة عليّ يا ربّ، فأنت أعطيتني العقل فلم أستخدمه بما ينفع نفســي والناس من حولي... وأعطيتني اللّســان فلم أتكلّـم به بما يثير الأمن في حيـاة الناس... وأعطيتني الأذن فلـم أســمع بها مــا يثقّـف ويربّي، وهكـذا مختلـف الحواس والقـوى الأخـرى، ﴿أَلَمْ نَجْعَـل لَّهُ عَيْنَيْـنِ * وَلِسَانـاً وَشَفَتَيْنِ *

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨ - ١٠]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ [الإنسان: ٣].

فلك الحجّة عليّ يا ربّ، ولا حجّة لي فيما جرى عليّ في قضائك، وألزمني فيه حُكمُك وبلاؤك، فأنا لا أستطيع أن آخذ إلاّ ما أعطيتني، لأنّ ما بنا من نعمة فمن الله، والله تعالى يقول: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

ولكن، وبالرغم من ذلك، ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، يظلم نفسه، ويظلم ربّه، ويكفر بنعمه، مع العلم أنّه عاجز لا يستطيع أن يأخذ إلاّ ما يفيض عليه ربّه، ولا يستطيع أن يتّقي، ويصرف عن نفسه الأخطار والأمراض والآلام، إلاّ بما يقيه به ربُّه.

٦- أنا الفقير فأغنني

«اللّهم أنّي أعوذ بك أنْ أفتقر في غناك...»

أنت - يا ربّ - الغني، مالك السماوات والأرض، تعطي من تشاء، وتمنع من تشاء، بحكمتك ورحمتك..

وأنا - يا ربّ - الفقير إليك في كل أموري، أتطلّع مستجيراً إلى غناك، الذي يمتدّ ليحيط بكل الموجودات والمخلوقات،

أغنني – يا ربّ – ممّا تملكه مني ومن الوجود كلّه، حتى أكون الغنيَّ بك، ولا أكون الفقير في مواقع غناك.

٧- وأنا الضالّ فاهدني

«أو أضلّ في هداك...»

فأنت الهدى كلّه، أنت الذي أعطيت عقلي النور الذي أهتدي به إلى معرفتك، وأنت الذي أعطيت قلبي الإحساس بعظمتك... وأنت الذي أرسلت الرُّسل من أجل أن يكونوا دليلاً إلى صراطك المستقيم.

يا رب.. عناصر الضلال تحيط بي، وهناك الكثيرون يريدون أن ينحرفوا عن هداك، وهذا هو منتهى البلاء..



يا ربّ.. إجعل هداك يُشرق في عقلي، وفي قلبي، وفي حياتي، حتى لا أكون الضّال في ساحة هداك، فاهدني لمعرفتك وعبادتك وطاعتك.

٨ - وأنا الذليل فأعزّني

«... أو أضام في سلطانك، أو أُضطهد والأمر لك..»

فأنتَ يا ربّ تملك السلطة كلّها، فأنت المهيمن على الأمر كلّه، فالقوّة لك، والعزّة لك..

اجعلنـــي – يا ربّ – عندما أعيش مـــع الناس في منأى عن ظلمهم، فلا تسمح لهم بأن يذلّوني، ويأكلوا حقوقي، ويمارسوا عليّ سياسة الاضطهاد والاستكبار، مع أنّ القوّة والعزّة والأمر لك وحدك لا شريك لك.

٩- واجعل أفضل أيّامي خواتيمها

«اللّهـم اجعـل نفسـي أول كريمـة تنتزعها مـن كرائمي، وأول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي..»

اللّهم اجعل كلّ قيـم الإيمان والروح والأخلاق التي أملكها رصيدي الأُخروي يوم ألقاك..

«اللّهم إني أسألك إيماناً لا أجل له دون لقائك، أَحْيِني ما أحييتني عليه، وتوفّني إذا توفّيتني عليه..»



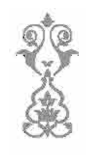
اللّهم اجعل كلّ ما أملك من أسرار معرفتك، وكلّ ما ألتزم به من وعـي عبادتك، وكلّ ما أتمتّع به من عقلٍ سـليم، وعلم وفير، وإيمان صـادق شـفّاف، وكلّ ما أؤمن به من حقّ وخير وعـدل.. ذخيـرة باقية إلـى آخر حياتـي، تحقّق لي رضـاك ورضوانك والفوز بثوابك.

أرجـوك يا ربّ أن لا تنتزع منّي شـيئاً.. هذه الكرائم التي يُكرم الإنسان بها نفسه، ويحصل على كرامة الناس من حوله،

وينال بها أفضل الجزاء بعد موته. كما أنّك - يا ربّ - أودعت في نفسي خصالاً طيّبة، وقيماً عظيمة، التي تمثّل سموّ الإيمان بذاتي، وعظمة العقل في كياني، وحركة الخير في سلوكي... أرجوك أن تبقيها لي إلى نهاية حياتي.. لأواجهك بها وأنا مستحقٌّ لتوبتك.

«**اللّهم إنّا نعوذ بك أن نذهب عن قولك، أو أن نفتتن عن دينك، أو تتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك**».

اللّهم إنّا نعوذ بك أن نذهب عن قولك في كلّ ما أنزلته من آيات تفتح عقولنا وقلوبنا، وتستقيم بها حياتنا، وننفتح بها على كلّ آفاقك الخيّرة.







يا ربّ اجعلنا نعي كلماتك لنفهمها، ونتدبّرها، ونحوّلها إلى عقل في عقولنا، وإلى وعي في قلوبنا.. أن تكون كلماتك منهجاً لكلّ العقلاء الواعين الذين يسمعون القول، فيتّبعون أحسنه، هؤلاء الذين أعطيتهم البشارة، هؤلاء المتّقون الذين ينفقون أموالهم في السرّاء والضرّاء، هؤلاء الكاظمون للغيظ، والعافون عن الناس، والمحسنون الذين يحبّون الله ويستغفرونه، والفائزون الذين أعدّ الله لهم الجنّة خيرٌ ثواباً، وحَسُنَت مرتفقاً.

- اللّهم إنّا نعوذ بك أن نذهب عن قولك، لنتّبع أقوال الناس الذين تمتلئ كلماتهم بالضلال والانحراف.

مع الله تعالى في كلماته

في هذه الفقرة من الدعاء يريد الإمام علي عليه السلام أن نتثقّف بكلام اللّه تعالى، فيكون أوّلَ ثقافة تدخل عقولنا، وأوّل معرفة تختزنها قلوبنا، وأول خطّ تتحرّك فيه خطواتنا.. أن لا تكون أقوال الناس أرجى لنا من أقوال اللّه، فاللّه هو الحقّ، ودينه وشريعته وكلماته هي الحقّ، وما دون ذلك هو ضلال وباطل.

إذا استمعنا إلى قول اللّه تعالى، فعلينا أن نفتح له عقولنا لتفكّر، وقلوبنا لتنبض به، وحياتنا لتتحرّك معه.

«**اللّهم إنّا نعوذ بك أن نذهب عن قولك، أو أن نفتتن عن دينك..**» أي أن يفتتننا الناس بما يقدّمونه لنا من إغراءات، أو بما يقحمونه علينا من شبهات، أو بما يثيرونه أمامنا من تهاويل، من أجل أن ننحرف عن دينك، فنتّبع سبل الضلال.



يا ربّ.. إنّ دينك هو الهدى، كلّ الهدى، وهو الصراط المستقيم الذي أمرتنا بأن نتّبعه، ولا نتّبع السبل الأخرى فتفرّق بنا عن سبيله.

يـا ربّ.. نجِّنا مـن كلّ الفتـن التي تُطبق علينا، فنخضـع لسـلطان الأهواء والشـهوات، من أجل أن نفـوز بالجنّة التي جعلتها لمـن خاف مقام ربّه ونهى النفس عـن الهوى، ونتّقي النار التي جعلتها جزاءً لمن طغى وآثر الحياة الدنيا.

يا ربّ.. أنقذنا من أهواء أنفسنا التي تنحرف بنا عن خطّ الهـدى الذي جاء من عندك، وأمرت به، وتجازي على ضـوء الالتزام به.

مع الإمام علي عليه السلام في علاقته بالله تعالى

هذا هو دعاء علي عليه السلام، وكم لعليّ من الدعاء ما يسمو بالعقل إلى الله تعالى، وما يحرّك نبضات القلب في أجواء محبّة الله تعالى.. هذا هو عليّ عليه السلام الذي عرف الله كما لم يعرفه أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والذي انفتحت له آفاق المعرفة بالله تعالى حتى قال: «**لو كُشِف لِيَ الغطاء ما ازددت يقيناً**»، أي لو كُشِفت لي كلّ حجب السماوات والأرض، وكلّ حجب الغيب لما ازددت يقيناً، لأنّ يقيني انطلق من كلّ هذا الصفاء الروحي، والسموّ العقلي الذي عرفته في الله تعالى، فعليٌّ في كلّ ذلك أحبَّ الله كما لم يحبّه أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ألسنا نقرأ معه في دعاء كميل:





«**فهبنـي يـا إلهي صبـرت على عذابك، فكيـف أصبر على فراقـك، وهبني يا إلهي صبرت على حرّ نارك، فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك**»

لو عذّبتني – يا ربّ – بكلّ ألوان العذاب، ربّما أصـبر على عذابـك وأتحمّل، ولكن الشـيء الـذي لا أسـتطيع تحمّله هو فراقـك، فأنـا الذي بلغت من حالة العشـق ما لم يصـل إليه مخلوق عادي، وهبني يا إلهي صبرت على حرّ نارك، والجسد لا يصبر على حرّ النار، فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك، والتطلّـع إلى رحمتـك.. فأنا في كلّ حياتـي أتقلّب في محيط نعمك ولطفك وحنانك ورحمتـك وكرامتك، لكن إذا ألقيتني في النـار، فإنّي سـأفقد كلّ نعمائك وحبّـك وكرامتك، وأنا لا أتحمّل ذلك كلّه.



وفـي دعاء آخـر يخاطب الإمـام علي عليه السلام ربّـه بالقول: «**وكيـف تعذّبنـي وحبّـك في قلبـي**»، فأنت – يـا رب – تعذّب الجاحدين والمنحرفين، وأنا والحمدلله لسـت منهم، فحبّك مـلأ كلّ قلبي، وقلبي لا يجتمع فيه حبّـان أبداً حبّ الله وحبّ الشيطان، إنّ الحبّ الوحيد الذي يدخل عقلي وقلبي ووجداني هو حبّك وحبّ أوليائك.

جاء في الحديث القدسي: «**ما وسعتني أرضي ولا سمائي،**

ولكن وسعني قلبُ عبديَ المؤمن»، إنّ الإمام علياً عليه السلام يعلّمنا كيف نحبّ الله تعالى، وكيف نتقرّب منه، ونلجأ إليه، وكيف نوحّده في طلب الحاجات وإقالة العثرات.. وهذا هو ما عبّر عنه ولده الإمام علي بن الحسين عليه السلام الذي عاش مع الله في كلّ حياته:

«اللّهم إنّي أخلصتُ بانقطاعي إليك، وأقبلت بكلّي عليك، وصرفت وجهي عمّن يحتاج إلى رفدك، وقلّبت مسألتي عمّن لم يستغنِ عن فضلك، ورأيت أنّ طلب المحتاج إلى المحتاج سَفَهٌ من رأيه، وضلّةٌ من عقله، وقلت سبحان ربي كيف يسأل محتاج محتاجاً، وأنّى يرغب مُعدَم إلى مُعدَم.. فكم قد رأيت - يا إلهي - من أُناس طلبوا العزّ بغيرك فذلّوا، وراموا الثروة من سواك فافتقروا، وحاولوا الارتفاع فاتّضعوا، فأنت يا مولاي دون كلّ مسؤول موضع مسألتي وحدك، ودون كلّ مطلوب إليه، وليُّ حاجتي...».





مع أهل البيت عليهم السلام نعرف الله تعالى، ونهتدي إلى طريقه، فلنحرص على معرفتهم وقراءة تراثهم، فهم القدوة، وهم الأُسوة.

المشكلة أنّ كثيراً من شيعة أهل البيت عليهم السلام لا يعرفون منهم سوى دمعة في المأساة، وبسمة في مواقع الفرح،

أما في مواقع العقل والعلم والحياة فلا نعرف إلا اليسير، فولاية أهل البيت عليهم السلام لا تُنال إلا بما عبّر عنه الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«**مَن كان ولياً لله فهو لنا ولي، ومَن كان عدوّاً لله فهو لنا عدو.. والله لا تُنال ولايتنا إلا بالورع**» .. هذا هو الخطّ، وهذا هو السبيل إلى الله.











الرجاء والخوف
التعلم والصبر













من الاهتمامات الكبرى للإمام علي عليه السلام هو أن يثقّف الناس، بما يرفع مستوياتهم، ويحلّ مشاكلهم، ليفتح عقولهم على الحق، ويربّي نفوسهم على أساس الالتزام الوثيق بالقيم الإسلامية.

كان همّه الأكبر أن يجعل من الأمّة الإسلامية أمّةً متعلّمةً، مثقّفةً، منفتحةً على كلّ شؤون الحياة، فحين ندخل إلى عالم وصاياه، وبالأخص تلك التي يخاطب بها ولديه الحسن والحسين عليهما السلام، فإنّنا نجد فيها ثقافة واسعة شاملة تتناول الجوانب العقيدية، والروحية، والأخلاقية، والاجتماعية.. كما أنّنا نرى ذلك حينما نقرأ وصاياه للناس كافّة، حيث نجده يعالج أكثر من قضية إسلامية تؤكّد على التواصل والتكامل والتعاون وحمل المسؤولية بين المسلمين في المجتمع الإسلامي الكبير.

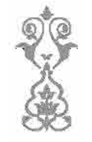


كان الإمام علي عليه السلام يفكّر في تربية المسلمين حتّى بعد وفاته، كان يقول لهم: «**سلوني قبل أن تفقدوني،**

فإنّـي بطـرق السمـاء أعـرف منّـي بطـرق الأرض»، كان يريد للمسلمين أن يطرحوا عليه كل ما يراود أفكارهم من علامات الاستفهام حول كلّ القضايا الكونيّة والإسلاميّة. كان يعيش الألم الكبير، حين يجد أُناساً لا يحملون علمه، ولا يستفيدون من علمه، كان يقول، وهو يشير إلى صدره:

«**إنَّ هاهنا لعلماً جمّاً، لو أصبت له حَمَلَةً**»

ولعلّ أكثر ما يثير دهشته وألمه أيضاً عدم تجاوب الآخرين مع ما كان يريده ويطرحه، فحين كان يقول: «**سلوني قبل أن تفقدوني...**»، كان ينبري له بعض الجاهلين السفهاء ليقول له: «كم شعرةً في رأسي»، «ليجيبه الإمام عليه السلام: «**إنَّ على كلّ شعرة من رأسك ملكاً يلعنك**».



ونتوقف هنا عند بعض الوصايا الوصايا المختصرة التي تتّصل بالقيمة الإنسانية في العقيدة، والحركة الأخلاقية في الاجتماع، ويقول عليه السلام:





أُوصيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الإِبِلِ[1] **لَكَانَتْ لذلكَ أَهْلاً:**

ـ لاَ يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ منْكُمْ إلاَّ رَبَّهُ.

ـ وَلاَ يَخَافَنَّ إلاَّ ذَنْبَهُ.

---

(١) ضربتم إليها آباط الإبل: كناية عن شدّ الرحال، وحثّ المسير.

ـ وَلاَ يَسْتَحْيِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لاَ يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لاَ أَعْلَمُ.

ـ وَلاَ يَسْتَحْيِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعلَم الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ.

ـ وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلاَ خَيْرَ فِي جَسَدٍ لاَ رَأْسَ مَعَهُ، وَلاَ فِي إِيمَانٍ لاَ صَبْرَ مَعَهُ.

١ـ لا يرجُوَنّ أحدٌ منكم إلاّ ربّه

على الإنسان في كلّ حاجاته، واهتماماته وقضاياه.. أن يبعث برجائه إلى ربّه، كي يحقّق ما يريد ويرغب. وهذا ما نردّده في الدعاء:

«**اللّهم ارزقني اليقين وحسن الظنّ بك، وأثبت رجاءك في قلبي، واقطع رجائي عمّن سواك، حتّى لا أرجو غيرك، ولا أثق إلاّ بك...**».



والسبب في ذلك: أنّك عندما ترجو أحداً في أمرٍ، فلا بدّ أن يملك هذه القدرة على المعالجة والحلّ والتحقيق، والله تعالى هو وحده: «**وليُّ كلّ حاجة، وصاحبُ كلّ حسنة، ومُنتهى كلّ رغبة**»، وهو الذي «**يكفي من كلّ شيء، ولا يكفي منه شيء**».

أمّا غيره فلا يملك شيئاً إلاّ ما ملّكه الله تعالى، حتّى الأنبياء والأوصياء فهم لا يعلمون الغيب، ولا يجترحون المعجزات إلاّ ما كان يعطيهم بعض غيبه أو قدرته بمقدار الحاجة التي تخدم رسالتهم.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، **﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾** [هود: ٢١]، **﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾** [الأعراف: ١٨٨].

وفي مناسبة تحدّث الإمام علي عليه السلام عن بعض الغيبيّات، وحينما قالوا له: يا أمير المؤمنين، هذا عِلمُك فيه شيء من الغيب؟

أجاب عليه السلام: **لا... ولكنّه عِلمٌ من ذي عِلم، علّمني إيّاه رسول الله.**



٢ـ ولا يخافنَّ إلاّ ذنبه

وعلى الإنسان أيضاً أن لا يخاف الفقر، لأنّه قد يتحوّل إلى غنى فيما إذا تغيّرت الظروف، وأن لا يخاف المرض، لأنّه قد يتحوّل إلى عافية، وأن لا يخاف ظُلمَ الناس الذي قد يتحوّل إلى أمان وعدل ونفاق.. ولكن عليه أن يخاف من ذنبه، لأنّ

طبيعة هذا الذنب قد تثير غضب الله تعالى وسخطه، وهذا أمر لا يمكن احتماله، وهو ما عبَّر عنه الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل بن زياد:

«... فكيف احتمالي لبلاء الآخرة، وجليل وقوع المكاره فيها، وهو بلاءٌ تطول مدّته، ويدوم مقامه، ولا يُخفَّف عن أهله لأنّه لا يكون إلاّ عن غضبك وانتقامك وسخطك، وهذا ما لا تقوم له السماوات والأرض، فكيف بي وأنا عبدك الضعيف الذليل الحقير المسكين المستكين...».

والخوف من الذنب يفرض على الإنسان أن يلجأ إلى ربّه، نادماً، مستغفراً، مُقِرّاً، مذعناً، معترفاً، معلِناً توبته الصادقة، ونيل رضا ربّه الخالص.

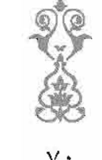


٣ـ ولا يستحِيَنّ أحدٌ منكم إذا سُئل عمّا لا يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستحينّ أحدكم إذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه.

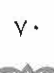
وعلى الإنسان أن يستمرّ في التعلُّم **«أطلب العلم من المهد إلى اللّحد»**، فلا يخجل من السؤال، فإذا كان جاهلاً بأمر، فعليه أن يعترف بذلك، ويقول بكلّ جرأة: لا أعلم، ثم عليه أن يبحث عنه، بالتواصل مع أهل العلم والمعرفة، فليس العيب

في أن تنشد العلم، ولكن العيب كلّ العيب هو أن تدّعي العلم وأنت تعيش في غياهب الجهل.

وطلب العلم لا يقتصر أمره على سنٍّ معيّنة، بل هو يمتدّ على مدار العمر، حيث يزداد الإنسان من احتكاكه بالآخرين معارف وتجارب وخبرات، حيث يصبح أكثر علماً ووعياً وحكمة. ومع الأسف فإنّنا نلتقي بنماذج وقد تقدّم بهم العمر، وصاروا في سنّ الخمسين أو الستّين، وهم لا يُحسنون أحكام الوضوء أو الغسل أو الصلاة، ولكنّهم يخجلون من سؤال العارفين لضمان صحّة عباداتهم وقبولها، المهم هو أن تتخلّص من الخطأ، لتصبح أكثر علماً ووعياً.



٤ـ وعليكم بالصبر، فإنّ الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خيرَ في جسد لا رأسَ فيه، ولا خيرَ في إيمانٍ لا صبرَ معه.



وعلى الإنسان أن يتسلّح بملكة الصبر، التي تزوّده بالإرادة الصلبة التي تجعله يثبت أمام الطّاعة ليأتيَ بها، ويثبت أمام المعصية ليتركها ويرفضها.

وقد ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «**كلّ أعمال البرّ بالصبر يرحمك الله**»

والله تعالى قال لرسوله صلى الله عليه وآله: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ**﴾

[النحل:١٢٧]، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧].

ثمّ إنّ الله سبحانه وتعالى قدّم للصابرين أعظم بشارة: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وأفضل مصداق للصبر كان الإمام علي عليه السلام، الذي صبر صبراً قد تعجز عنه صلابة الجبال، وصَبْرُ الإمام عليه السلام كان من أجل الحقّ، من أجل الإسلام وهو القائل: «**لأُسالِمَنَّ ما سلِمَت أمور المسلمين ولم يكن بها جورٌ إلاّ عليَّ خاصّة**».











فِي النَّهي
عن غيبة الناس













حديث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو حديث الإسلام، الإســلام في عقيدته، وشريعته، ومنهجه، وأخلاقه، الإسلام الذي جسّــده الإمام عليه السلام في سلوكه وحركته وموقفه، بحيث بلغ به الكمال في القُرب من الله تعالى.

علــى هذا الأســاس يجــدر بكلّ مســلم ينشــد الكمــال أو الاستقامة أن يســتمع إلى كلام علي عليه السلام ليفهمه، ويتدبّره، ويحــدِّد مواقع أقدامه عندمــا تلتبس عليه الأمور، وتتشــابك الطرق، وتضيع المعالم.





ومــن كلامــه حــول آفــة الغيبــة التــي أصــبحت طعــام الكثيرين وشــرابهم، ومحور حديث مجالســهم وسهراتهم يقــول الإمــام عليه السلام:

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلاَمَةِ[1] أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ

(١) المصنوع إليهم في السلامة: الذين أنعم الله عليهم، وأحسن صنعه إليهم، بالسلامة من الآثام والخطايا.

بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ!

أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مَنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ! وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيمَا سِوَاهُ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَأَيْمُ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ، لَجَرَاءَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ!

يَا عَبْدَ اللهِ، لاَ تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلاَ تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ؛ فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ. الخطبة ١٤٠



إلى مَنِ الخطاب؟

في وصية له، يوجّه الإمام علي عليه السلام الخطاب إلى مَن رزقهم اللّه تعالى العصمة من الذنوب، وهم المؤمنون الأتقياء الذين حفظوا أنفسهم بتربية إيمانية محصّنة بالتقوى والإرادة الصلبة في طلب الحلال، ورفض الحرام.

هؤلاء الذين أنعم الله عليهم، وأنعم صُنْعَه إليهم بالسلامة من الآثام، ربّما يعيشون بعض حالات الضعف، فيدخل الشيطان

عليهم، ليثير لديهم الغرور بتقواهم، فينظرون إلى مَنْ دونهم، ممّن يُذنبون ويخطئون نظرة استعلاء، أو نظرة فيها بعض مظاهر الحقد والبغض، وهذا ما نلاحظه في علاقات كثير من المؤمنين بغيرهم من المخالفين، فإذا رأوا إنساناً يشرب خمراً، فإنّهم يسارعون إلى رفضه، ونبذه والحقد عليه، دون دراسة ظروفه أوّلاً، ودون التفكير في الأسلوب الذي يهديه وينقذه من حالته ثانياً. فالنظرة السلبية كردّة فعل أُولى تحمل الكثير من التعقيد والمشاعر المضادّة التي لا تحلّ المشكلة، لا بل تعقّدها، وتمنع الآخر المرتكب للمعصية من التجاوب مع الموعظة والنصيحة، وهي في كثير من الحالات تدفع إلى التحدّي بل والإصرار على ارتكاب المعصية.



الرحمة الإنسانيّة للمذنب

«**وإنّما ينبغي لأهل العصمة، والمصنوع إليهم في السّلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية...**» أي أن ترحم المذنب، وتنظر إليه نظرة المريض نفسياً، والذي يحتاج إلى تشخيص وعلاج بوسائل إنسانيّة علمية حضارية، تنطلق من روح إسلامية سامية...

إنّنا في علاقتنا بالآخرين قد نلتقي بأمراض جسدية،

وهذا ما اعتدنا عليه، بل هو همّ الغالبيّة العظمى من البشـر، ولكنّنـا لم نألف التوقّـف عند الأمراض الروحيّة والنفسـية، فالإنسـان الذي ينسـى ربّه، ويغفل عن أداء واجباته نحوه، لا بل قد يتجرّأ على معصـيته في تجاوز أوامـره ونواهيه... هو إنسـان مريض، لأنّه يظلم نفسه من حيث لا يدري، إنّه يورّط نفسـه بتصـرفات ومواقف قد تـؤدّي إلى غضـب ربّه تبارك وتعالى، وبالتالي إلى العذاب الخالد في نار جهنم، وهنا نقول بألم: وهل هناك مرض أعظم من مرضٍ كهذا؟. يقول الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل:

«**يـا ربِّ... وأنـت تعلـم ضعفي عـن قليل من بـلاء الدنيا وعقوباتهـا وما يجري فيهـا من المكاره على أهلها، على أنّ ذلـك بلاءٌ ومكـروه، قليل مكثه، يسيرٌ بقـاؤه، قصير مدّته، فكيـف احتمالي لبـلاء الآخـرة وجليل وقوع المـكاره فيها، وهـو بلاءٌ تطولُ مدّته، ويدوم مقامه، ولا يخفَّفُ عن أهله، لأنّـه لا يكون إلا عـن غضبك وانتقامك وسخطك، وهذا ما لا تقوم له السماوات والأرض...**».







خلاصـة القول: يتوجّه الإمام عليه السلام للإنسان: كن إنسانياً فـي نظرتك إلى الآخر إذا عَصَـمَك الله من الذنوب، ووفّقك لأن تكـون من المطيعين المتّقيـن، لا تحقد على أهل الذنوب

والمعاصي، بل سلّط كلّ حقدك على ذنوبهم ومعاصيهم، لتعمل بالتالي على التفكير بالطريقة التي تطهّرهم منها.

الستر على المذنب حفظاً للكرامة وطريقاً للعلاج

«ويكون الشكر هو الغالب عليهم، والحاجز لهم عنهم...»

- على المؤمنين أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، وإذا نظروا إليهم وهم منغمسون في معصية الله تعالى، عليهم - أي على المؤمنين - أن يبادروا أولاً إلى شكر الله الذي أنقذهم من هذا المرض النفسيّ الروحيّ العضال الذي وقع فيه هؤلاء، وثانياً: إلى أن يكون هذا الشكر حاجزاً ومانعاً من القيام بأفعال سلبيّة ذاتيّة حاقدة ضدّهم، لأنّ مثل هذه التصرّفات قد تعقّد الأمور، ولا تساهم في حلّ المشاكل كما قلنا سابقاً.



ثمّ يتابع الإمام عليه السلام بالقول: «**فكيف بالعائب الذي عاب أخاه، وعيّره ببلواه، أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه، ممّا هو أعظم من الذنب الذي عابه به...**». فعلى الإنسان التقي إذا رأى في أخيه عيباً روحياً أو شرعياً، عليه أن لا يسارع إلى ذمّه، ونشر عيبه، وتعييره به، فإنَّ في ذلك

هتكاً لحرمته، واعتداء على كرامته. وهو بذلك يهتك ستر الله سبحانه وتعالى الذي ستره به، «**فهو خير الساترين، وأحكم الحاكمين، ستّار العيوب، غفّار الذنوب**»، ثم إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا الإطار يخاطب الله عزّ وجلّ في دعائه: «... **تستر الذنب بكرمك، وتؤجّل العقوبة بحلمك، فسبحانك ما أحلمك وأعظمك مبدئاً ومعيداً...**».

وأنت أيّها التقيّ المؤمن ألا تعلم أنّ عدم سترك لعيب أخيك هو بحدّ ذاته ذنب أكبر من الذنب الذي عِبت فيه ذنب أخيك، فتكون بذلك قد وقعت في ذنب وأنت تطلب من الآخر أن يهرب منه، لذلك نجد الإمام عليه السلام يستنكر ويعجب: «**وكيف يذمّه بذنب ركب مثله، فإن لم يكن رَكِبَ ذلك الذّنب بعينه، فقد عصى الله فيما سواه، ممّا هو أعظم منه...**».







ربّما يشير الإمام علي عليه السلام إلى أمر مفاده: أنّك أيها المسلم قد تمارس الصّلاة والصوم، وتذهب للحجّ والعمرة وزيارة الأماكن المقدّسة، وتؤتي الزكاة والخمس، وتنفق في سبيل الله، وقد لا ترتكب المعاصي من زِناً، ورِباً، وشُرب خمر، وتعاطي قمار وغيرها... بهذا كلّه فأنت لا ترتكب المعصية الكبيرة، ولا الصغيرة والحمدلله، ولكنّك بجرأتك على عيب الناس، وهتك سترهم تكون قد ارتكبت ذنباً أكبر من الكبيرة

فكيف الصغيرة؟ وأيضاً قد تكون قد وقعت في معصية أكبر من هذه التي وقع فيها الإنسان الذي عبته.

النهي عن الغيبة

وبذلك ينهى الإمام علي عليه السلام عن الغيبة بالقول: «**وأَيْمُ الله لئن لم يكن عصاه في الكبير، وعصاه في الصغير، لجرأته على عيب الناس أكبر**».

ثم يفصّل الإمام عليه السلام في إطار التحذير من آفة الغيبة: «**يا عبد الله... لا تعجل في عيب أحد بذنبه، فلعلّه مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصية، فلعلّك معذّب عليه. فليكفف من عَلِمَ منكم عيب غيره، لِمَا يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له، على معافاته ممّا ابتُلِيَ به غيره**».



وفي تعبير «**يا عبد الله...**» يريد الإمام عليه السلام أن يذكّر الإنسان المؤمن بأنّه عبدٌ لله، ومن كان عبداً لله عليه أن يجسّد هذه العبودية بالتقوى التي من مظاهرها الطّاعة لله تعالى في كلّ ما أمر ونهى... وعلى ضوء هذا لا تعجل في عيب أحد لذنبه، فلعلّ هذا الذنب يكون قد غفره الله له، والله غفور رحيم، والله تعالى كما قال: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ...**﴾[النساء:٤٨]. إنّ رحمة الله تعالى واسعة،

وهـي رحمة يتطاول لها عنـق إبليس في يـوم القيامة، فكيف الأمر بالنسبة لعبده المقترف لذنب دون إصرار أو تحدّ.

إنّنـا نقيسـ رحمة الله علـى مزاجنا، وعلـى روحيتنا التي تتّصـل بالبخل في إطار العفو أو الإنفاق، فلو أنّ الله سبحانه سـلّمنا مفاتيح الجنّة، فكم نسمح بدخولها؟ يقول الله تعالى: **﴿قُـل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّـي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً﴾** [الإسراء:١٠٠].

فـالله تعالى أعطاكم الرزق، وسـمح لكم بالإنفاق، فلماذا البخـل والتضـييق؟ لنتخلّـق بأخـلاق الله الغفـور الرحيـم الكريم.



يا عبد الله... لا تعجل في عيب أحد بذنبه، فلعلّه مغفور له، ولا تأمن على نفسـك صغير معصـية، فلعلّك معذّب عليها... بعض الناس يقول: الحمدلله تعالى، فأنا غالباً في طاعة الله، ولكنّي قد أقترف أحياناً بعض الذنوب الصغيرة: إهانة عابرة لإنسـان مؤمن، اعتداء ظرفيّ لزوجتي أو ابني، احتقار لفقير مستضـعف... هذه الذنوب الصغيرة ربّما يعذّبك الله عليها، ولا يغفرها لك.





أيّهـا العبد الصـالح لا تستصـغرنَّ سـيئةً فلربّما أدخلتك النار، كما لا تستصـغرنّ حسـنةً فلربّمـا أدخلتك الجنّة، فلا

تُؤمّــن، ولا تثق بنفســك كلّ الثقة لتجعلها حاكماً على ســلوك الناس.

وأخيراً يشــدّد الإمام عليه السلام على أن يكفّ كلّ واحدٍ منّا عن الاشتغال بما يعلم من عيوب الآخرين، إلى الاشتغال بما يعلم من عيوبه ليحاول أن يعالجها، ويحصّــن نفســه من أمثالها، أمّــا عيوب الآخرين التي سَــلِم منها، فعليــه أن يتوجّه لله عزّ وجلّ بالشكر على معافاته ممّا ابتُلوا به.

هــذا درسٌ تربــوي من كتاب علــيّ عليه السلام ، مــن المفيد أن نتربّى به، فنقلع عن العيوب التي تشــوّه شخصيّاتنا، ونستغفر الله تعالــى من تبعاتها، ولا نتّخذ بما نعلم من عيوب الآخرين مادة للإعلان والتشــهير والإذلال، ممّا يدخل في عالم الغيبة التــي تُعتبر مــن كبائر الذنوب... لنســتغفر الله على كلّ حال قبل أن يأتيَ اليوم الذي لا نملك فيه فرص التوبة، اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلاّ مَن أتى الله بقلبٍ سليم.











الفهرس







هذه هي كلمات عليّ عليه السلام
التي تفتح قلوبنا وعقولنا على
مسؤولياتنا في عبادة ربّنا، والقيام
بكلّ ما حمّلنا إياه من رعاية أنفسنا،
وخدمة كلّ من يحيط بنا، هذا هو
هدى عليّ عليه السلام ، وهدى عليّ عليه السلام
هو هدى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهدى
رسول الله صلى الله عليه وآله هو هدى الله تعالى